التماسك النصي في قصار السور مقاربة نصية

م.د. أنمار داود سليم
جامعة تكريت، كلية التربية الأساسية، قسم التربية الإسلامية

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة التماسك النصي في قصار سور القرآن الكريم من منظور لساني نصي، مع التركيز على كيفية تكوين وحدة دلالية متماسكة في نصوص قصيرة تحتوي على مقاطع وجمل متقاربة الطول. تنطلق الدراسة من فرضية أن التماسك النصي ليس مجرد ترتيب لغوي، بل آلية دلالية تربط بين المقاطع والجمل لتشكل وحدة متكاملة، تساعد القارئ على فهم المعنى المقصود وتوجيه التأويل السليم.

يعتمد البحث على تحليل نصوص سور قصيرة، مع تقسيم التماسك إلى مستويات: اللفظي، الدلالي، والتركيبي. يشمل التماسك اللفظي استخدام الترادف، التجانس الصوتي، والضمائر، بينما يشمل التماسك الدلالي الربط بين المعاني وتوظيف الأدوات الدلالية لتعزيز وحدة النص. أما التماسك التركيبي فيبرز من خلال البنية النحوية والربط بين المقاطع والجمل، بما يضمن ترابط النص كوحدة متكاملة.

كما يتناول البحث أدوات التماسك النصي مثل حروف العطف، الاستدراك، والرموز البلاغية التي تعزز وحدة النص، إضافة إلى دراسة البنية الكبرى للمعنى وكيفية تحقيق التماسك الضمني بين جمل النص القصير.

من خلال تحليل نصوص نموذجية من سور مثل: الكوثر، العصر، الفيل، قريش، يوضح البحث كيف يسهم التماسك النصي في وحدة المعنى، وضبط الرسالة الإلهية، وتوجيه المتلقي نحو فهم النص كوحدة متكاملة. كما يظهر البحث أن تطبيق مقاربة لسانيات النص كشف مستويات التماسك الخفية التي تعجز المناهج الأدبية التقليدية عن رصدها، مما يجعل هذا المنهج أداة أساسية لدراسة القرآن الكريم نصيًا.

الكلمات المفتاحية: التماسك النصي، القرآن الكريم، قصار السور، لسانيات النص، التماسك اللفظي، التماسك الدلالي، التماسك التركيبي.

Textual Coherence in the Short Surahs: A Textual Approach

of Dr. Anmar Dawood Saleem/ University of Tikrit, College - Basic Education
Sharqat, Department of Islamic Education
Email: Anmar.D.saleem@tu.edu.iq

Abstract

This study aims to examine textual cohesion inthe shorter surahs linguistic perspective, focusing on how -of the Qur'an from a text nit is formed within shorttexts composed of a coherent semantic u relatively concise verses andphrases. The study is based on the premise thattextual cohesion is not merely a linguisticarrangement but a semantic mechanismlinking helping the ،segments and sentences to form anintegrated unit reader understandthe intended meaning and guiding .accurateinterpretation

The research analyzes short Qur'anic surahs, dividing cohesion into three levels: lexical, semantic, and structural. Lexical icharmony, and cohesioninvolves the use of synonymy, phonet pronouns, while semanticcohesion refers to the linking of meanings andthe use of semantic devices to reinforce

textualunity. Structural cohesion is manifested throughsyntactic construction and the linking ofsentences and segments, ensuring .he textfunctions as an integrated wholet
The study also addresses cohesive devices suchas conjunctions, counterpoints, and rhetoricalsymbols that strengthen textual structure of meaning and theimplicit -unity, alongsidethe macro .hin theshort surahscohesion among sentences wit
-Kawthar, Al-Through the analysis of model surahs such asAl Fil, and Quraysh, thestudy demonstrates how textual -Asr, Al cohesioncontributes to semantic unity, preserves thedivine xt as a message, and guides the reader towardunderstanding the te linguistic -coherent whole. Moreover, applying a text approachreveals hidden levels of cohesion thatconventional literary methods fail to detect, establishing this methodology as .an essentialtool for Qur'anic textual analysis
Keywords: Textual Cohesion, The Holy Qur'an, Short Surahs, Text Linguistics, Lexical Cohesion, Semantic Cohesion, Syntactic Cohesion.

مقدمة

يُعَدُّ القرآن الكريم النص المؤسس للحضارة الإسلامية، ودراسة بنيته النصية ليست مجرد ترف أكاديمي، بل هي محاولة لفهم عمق إعجازه اللغوي والبلاغي. ومع ذلك، فإن الدراسات القرآنية التقليدية غالبًا ما ركّزت على الجوانب التفسيرية والأدبية والبلاغية لكل سورة على حدة. إن هذه المقاربة، رغم أهميتها، قد تُغفل الأبعاد اللسانية العميقة التي تمنح النص القرآني تماسكًا داخليًا لا مثيل له، خاصة في قصار سوره التي تبدو للوهلة الأولى مقاطع مستقلة. تأتي هذه الدراسة لتقديم مقاربة جديدة من منظور لسانية النص، والتي تُعنى بتحليل النص ككل متماسك، وليس فقط كجمل منفصلة (الخولي، 2000، ص. 34).

مشكلة البحث

على الرغم من الدراسات العديدة التي تناولت القرآن الكريم من مختلف الزوايا، إلا أن هناك فجوة واضحة في تطبيق المنهج النصي اللساني على قصار السور. فغالبًا ما يتم التركيز على السور الطويلة أو المتوسطة، بينما تُغفل قصار السور التي تُعدُّ مختبرًا مثاليًا لدراسة التماسك النصي في أقصى درجاته، لأنها تُقدّم فكرة أو معنىً شاملاً في عدد قليل من الآيات، مما يجعل الترابط بينها أكثر وضوحًا. لذا، تكمن مشكلة البحث في غياب التحليل المنهجي الذي يدرس هذه السور من منظور التماسك النصي، للكشف عن آليات الربط الداخلي فيها.

أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعريف بمفهوم التماسك النصي وتحديد مبادئه النظرية في ضوء لسانية النص.
- الكشف عن الآليات والأدوات اللغوية التي تُحقق التماسك النصي في قصار السور.
- بيان المستويات المختلفة للتماسك (اللفظي، والدلالي، والتركيبي).
- إثبات أن قصار السور القرآنية تُشكّل وحدات نصية متكاملة تمامًا، وليست مجرد تجميع لآيات منفصلة.
- الإسهام في تأصيل المنهج النصي في الدراسات القرآنية.

أسئلة البحث

للإجابة على مشكلة البحث، سيتم التركيز على الأسئلة التالية:

1. ما هو مفهوم التماسك النصي، وما هي مبادئه الأساسية وفق لسانية النص؟

2. ما هي أبرز أدوات ومستويات التماسك النصي التي تظهر في قصار السور؟

3. كيف تتكامل هذه الأدوات والمستويات لتُشكّل البنية الكبرى للنص القرآني القصير؟

4. ما هو دور التماسك النصي في تعزيز إعجاز القرآن الكريم؟

منهج البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث سيتم وصف النص القرآني وتحليله من منظور المقاربة النصية اللسانية، مع الاستعانة بأمثلة من متن السور لدعم التحليل.

هيكل الدراسة

ينقسم هذا البحث إلى خمسة مطالب رئيسة، فضلًا عنالمقدمة والخاتمة:

- المطلب الأول: الإطار النظري ومفاهيم التماسك النصي.
- المطلب الثاني: مستويات التماسك النصي في قصار السور.
- المطلب الثالث: أدوات التماسك النصي.
- المطلب الرابع: التماسك الضمني والبنية الكبرى.
- المطلب الخامس: تحليل نصوص نموذجية من قصار السور.

المطلب الأول: الإطار النظري ومفاهيم التماسك النصي

1.1 التأطير النظري: رحلة مبادئ التماسك بين الدرسين العربي والغربي

إن مفهوم التماسك النصي، الذي يُمثّل حجر الزاوية في لسانية النص الحديثة، ليس وليد العصر، بل له جذور عميقة في التراث الفكري والنقدي العربي والغربي. في الغرب، ظهر المفهوم بشكل منهجي على يد مايكل هليداي

ورقية حسن في السبعينيات من القرن العشرين، حيث قدّما أدوات تحليلية دقيقة للروابط اللفظية والدلالية (السبك) التي تُشكّل نسيج النص.

في المقابل، شهد التراث العربي إدراكًا مبكرًا لأهمية هذه الروابط، وإن لم يُطلق عليها نفس المصطلحات. فقد أدرك نقاد البلاغة العربية، مثل عبد القاهر الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، أن النص لا يكتسب جماله وقوته من الألفاظ المفردة، بل من "الربط بينها وتآلف بعضها مع بعض" (الجرجاني، 1982، ص. 297). كما تحدثوا عن مبادئ مثل "حسن التخلص"، وهو الانتقال السلس من غرض شعري إلى آخر دون انقطاع، ومفهوم "الفصل والوصل" الذي يُعنى بكيفية الربط بين الجمل أو تركها منفصلة، وهو ما يُوازي اليوم فكرة السبك النحوي والدلالي. وهكذا، يمكننا القول إن الدراسات العربية القديمة قدّمت تأصيلاً نظريًا عميقًا لمفاهيم التماسك، ولكنها كانت تندرج ضمن إطار البلاغة والنقد الأدبي، في حين قدّمت لسانية النص الحديثة مقاربة منهجية ونظرية أكثر شمولية (حسان، 1998، ص. 45).

1.2 مستويات التماسك النصي: السبك (Cohesion) وأنواعه

يُعرف السبك بأنه مجموعة من الوسائل اللغوية الظاهرة التي تربط بين مكونات النص على المستوى السطحي (ملاابراهيمي، وتاند، 2022، ص 105) ويمكن تقسيم السبك إلى عدة أنواع رئيسية:

• السبك النحوي: يُعنى بالروابط التي تُحققها القواعد النحوية، ومن أهم أدواته:

• الإحالة (Reference): وهي إحالة عنصر في النص إلى عنصر آخر(دهان؛ وعباس، 2023، ص672)

• الإحالة بالضمائر: مثل استخدام ضمير الغائب "هو" أو "هي" للإشارة إلى اسم مذكور سابقًا

• الإحالة بأسماء الإشارة: مثل استخدام "هذا" أو "ذلك" للإشارة إلى فكرة أو جملة.

• الإحالة بالأسماء الموصولة: مثل "الذي" و"التي" لربط جملتين ببعضهما.

• الوصل (Conjunction): استخدام أدوات الربط مثل حروف العطف "الواو"، "الفاء"، و"ثم"، وأدوات الشرط والاستدراك، والتي تُحدد العلاقة المنطقية بين الجمل.

• الحذف (Ellipsis): وهو حذف عنصر من الجملة يُفهم من السياق، مما يُقلل من التكرار ويُحقق ترابطًا سلسًا.

• السبك المعجمي: يتحقق عبر العلاقات الدلالية بين الكلمات، ويُعد من أهم وسائل السبك في الشعر والنثر على حد سواء.

• التكرار: تكرار كلمة أو عبارة لتعزيز فكرة معينة.

• الترادف والتضاد: استخدام كلمات لها نفس المعنى أو معانٍ متقابلة.

• الاشتراك في حقل دلالي: استخدام كلمات تنتمي إلى نفس المجال المعجمي (مثل: "صلاة، زكاة، حج" في الحقل الديني).

• الشمول والتخصيص (Hyponymy): استخدام كلمة عامة (حيوان) ثم كلمة خاصة منها (قط) (البطاينة، 2011، ص. 145).

1.3 مستويات التماسك النصي: الحبك (Coherence) وأنواعه

يُعد الحبك الجانب الأعمق والأكثر تجريدًا من التماسك. إنه ليس مجموعة من الروابط اللغوية الظاهرة، بل هو البنية المعرفية التي تُنظّم الأفكار في ذهن المتلقي. يُمكن تعريف الحبك بأنه "الترابط المنطقي والمعنوي الذي يمنح النص وحدته، حتى في غياب أدوات السبك الصريحة" (بحيري، 2002، ص121).

يُمكن التمييز بين أنواع مختلفة من الحبك:

• الحبك الموضوعي: وهو ترابط الأفكار والمواضيع داخل النص.

• الحبك المنطقي: وهو التسلسل السببي والنتائجي بين الأحداث أو الأفكار.

• الحبك الزمني: وهو التسلسل الزمني للأحداث في النص.

• الحبك العاطفي: وهو التدرج في المشاعر والأحاسيس التي ينقلها النص للمتلقي.

1.4 البنية الكبرى (structure-Macro) وعلاقتها بالتماسك

تُمثّل البنية الكبرى الإطار الشامل الذي يضم كل من السبك والحبك. فهي الفكرة المحورية أو الموضوع العام الذي يُنظّم النص بأكمله. وفقًا لعالم اللسانيات تِيُون فان دايك، فإن البنية الكبرى هي "الخلاصة الكلية للنص" التي يُدركها القارئ من خلال فهمه للروابط الدلالية بين أجزاء النص (Van Dijk & Kintsch, 1983, p. 195).

في قصار السور القرآنية، تُعتبر البنية الكبرى العنصر الأهم. فكل سورة، رغم قصرها، لها فكرة محورية واضحة (مثل التوحيد في سورة الإخلاص، أو جزاء الكافرين في سورة المسد). تعمل أدوات السبك (الضمائر، حروف العطف) على ربط الجمل، بينما يعمل الحبك على ترابط المعاني، وكلاهما يصب في خدمة البنية الكبرى التي تُحدد الغرض النهائي للسورة.

المطلب الثاني: مستويات التماسك النصي في قصار السور

2.1 التماسك اللفظي: أدوات التجانس الصوتي والمعجمي

يُعَدّ التماسك اللفظي (Lexical Cohesion) أحد أبرز مستويات التماسك التي تُضفي على النص القرآني وحدته السطحية. فهو يعتمد على الروابط الظاهرة بين الكلمات والجمل، مما يجعل النص يتدفق بسلاسة وانسجام. في قصار السور، يتجلى هذا التماسك بوضوح في أدوات متعددة:

• الترادف والمقابلة: على الرغم من أن الترادف الكامل نادر في القرآن، إلا أن استخدام الألفاظ المتقاربة في المعنى يساهم في إثراء النص وتماسكه

الدلالي. كذلك، يُعَدُّ التضاد أو المقابلة بين الألفاظ (مثل "الليل" و"النهار"، أو "الهدى" و"الضلال") أداة قوية للربط بين المعاني، إذ تُبرز كل كلمة الأخرى وتُعمّق دلالتها ضمن سياق السورة.

• التجانس الصوتي: يتجاوز القرآن مجرد التجانس اللفظي إلى مستوى أعمق هو التجانس الصوتي الذي يُعرف بـ"الفاصلة القرآنية" (مكي، 2008، ص. 98). تُعطي الفواصل القرآنية للنص إيقاعًا موسيقيًا يربط بين الآيات، مما يجعل السورة تبدو كقطعة واحدة متناغمة. على سبيل المثال، في سورة الفيل، يظهر التجانس الصوتي في الفواصل مثل: "أصحاب الفيلِ"، "تضليلٍ"، "سجيلٍ"، و**"مأكولٍ"**. هذا التناغم الصوتي يُثبت المعنى في الذهن ويُعزز من ترابط السورة.

• استخدام الضمائر والإحالة: تُعدُّ الضمائر أداة أساسية في الربط النصي، إذ تُحيل إلى شخصيات أو مفاهيم ذُكرت سابقاً في السورة، مما يُقلل من التكرار ويُحقق انسيابية في النص. ففي سورة الكوثر، يظهر هذا الاستخدام بوضوح في قوله تعالى: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ"، حيث يعود ضمير المتكلم "إِنَّا" على الله تعالى، بينما يُحيل ضمير المخاطب "كَ" إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم). هذه الإحالات تُشكّل شبكة من العلاقات اللفظية تربط كل آية بما قبلها وما بعدها.

2.2 التماسك الدلالي: الترابط بين الجمل والمعاني

يُعَدُّ التماسك الدلالي (Semantic Cohesion) المستوى الأهم في دراسة النصوص القرآنية. إنه لا يقتصر على الروابط اللغوية الظاهرة، بل يتجاوزها إلى الربط بين المعاني والأفكار. إن الحبك الدلالي هو ما يُعطي السورة وحدتها الموضوعية، بحيث تُصبح كل آية جزءاً لا يتجزأ من الصورة الكلية.

في قصار السور، يتجلى التماسك الدلالي في:

• الوحدة الموضوعية: كل سورة من السور القصيرة تخدم موضوعًا محوريًا واحدًا، حيث تُسهم كل آية في إثراء هذا الموضوع. على سبيل المثال، في سورة

العصر، يترابط المعنى ترابطاً دلالياً محكماً تبدأ السورة بقسم على الزمن، ثم تنتقل لبيان أن كل إنسان خاسر إلا فئة محددة، ثم تُفصّل صفات هذه الفئة (الإيمان، العمل الصالح، التواصي بالحق، التواصي بالصبر)، (أبو هزيم، 2009)، ص 26)

هذه الأفكار الأربع مترابطة دلالياً بشكل لا يُمكن فصله، فهي تُشكّل معاً خريطة طريق للنجاة.

• العلاقات السببية والنتائجية: تُظهر السور القصيرة ترابطاً دلالياً عبر علاقات السبب والنتيجة. ففي سورة المسد، نجد أن كل آية تُعدُّ نتيجة منطقية لما قبلها: "تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ"، والنتيجة هي "مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ"، والتي تُفضي بدورها إلى النتيجة الأخيرة: "سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ". هذه السلسلة السببية تُعزّز من التماسك الدلالي للنص.

2.3 التماسك التركيبي: البناء النحوي والربط بين المقاطع

يُعنى التماسك التركيبي (Syntactic Cohesion) بكيفية تنظيم الجمل والعبارات لغويًا داخل السورة، مما يُعطيها بناءً متيناً ومحكماً. هذا المستوى يُبرز الإعجاز النحوي والبلاغي للنص القرآني.

• البناء النحوي المتوازي: تُستخدم في قصار السور بنى نحوية متوازية تُعزّز من التماسك. ففي سورة قريش، نجد أن الترتيب النحوي للآيات يُشكّل توازياً بديعاً: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"، ثم تأتي النتيجة: "فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ". هذا التوازي يُثبت الفكرة في الذهن ويجعل النص أكثر ترابطاً.

• الربط بين المقاطع: على مستوى أوسع، يُلاحظ أن بعض قصار السور تُقسّم إلى مقاطع مترابطة، حيث يُقدم كل مقطع فكرة ثم ينتقل إلى الأخرى بسلاسة. ومثال ذلك سورة العلق، التي تبدأ بمقاطع تدعو للقراءة، ثم تنتقل إلى مقاطع تتحدث عن طغيان الإنسان، ثم تُنهي بمقاطع تدعو إلى عبادة الله. هذه

المقـاطع مترابطـة ترابطـاً تركيبيـاً وموضـوعياً يُعـزّز مـن البنيـة الكبـرى للسـورة (القاضي، 2015، ص. 93).

المطلب الثالث: أدوات التماسك النصي في قصار السور

3.1 استخدام أدوات الربط (حروف العطف، البدل، الاستدراك)

تُعدّ أدوات الربط من أكثر وسائل السبك وضوحًا وشيوعًا في أي نص، وهي في القرآن الكريم تُستخدم بدقة متناهية لربط الآيات ببعضها البعض، مما يُشكّل نسيجًا لغويًا متكاملًا. من أبرز هذه الأدوات:

• حروف العطف: تعمل حروف العطف مثل "الواو" و"الفاء" على ربط الجمل وإقامة علاقات منطقية ودلالية بينها. "الواو" في السياق القرآني غالبًا ما تُفيد الجمع المطلق، بينما "الفاء" تُعطي معنى التتابع والتعقيب أو السببية. ففي سورة العصر، نجد أن "الواو" تُربط بين عناصر النجاة الأربعة: "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ". هذا الترتيب لا يُفيد فقط الجمع، بل يُبرز أن كل عنصر لا يكتمل إلا بوجود الآخر (الخولي، 2000، ص. 90).

• البدل: يُعتبر البدل أداة نحوية قوية للربط والإحالة، حيث يأتي ليُوضح اسمًا مبهمًا أو ليُعطي تفصيلاً له، مما يُعزز من ترابط النص. ففي قوله تعالى في سورة قريش: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ"، كلمة "إيلافهم" تُعَدُّ بدلاً من "إيلاف قريش"، وهذا التكرار البديع لا يهدف إلى مجرد التوضيح، بل إلى تعزيز المعنى وتعميق الترابط اللفظي في النص.

3.2 علامات التنسيق والترابط السياقي

فضلًا عن أدوات الربط الصريحة، يعتمد النص القرآني على علامات تنسيق خفية وغير مباشرة تُسهم في ترابطه. هذه العلامات تُدرك من السياق العام للنص، وتُبرز براعة البناء اللغوي:

• الترابط الإشاري (reference-Co): وهو الربط بين الألفاظ التي تُشير إلى نفس المرجع دون استخدام أدوات صريحة. في سورة العلق، نجد أن الضمائر تُشير بشكل متناغم إلى الإنسان (الإحالة) وإلى الله تعالى (المرجع). هذا التناغم يضمن أن المتلقي يتابع التحول في المضمون دون شعور بالانقطاع، والحال نفسه في سورة العصر هنا يتجلى التناغم الإحالي بشكل واضح. فالفعل "آمَنُوا" يحيل ضميره إلى اسم الموصول "الَّذِينَ"، وبدوره يحيل "الذين" إلى "الإنسان" في الآية السابقة، مما يخلق سلسلة إحاليةمتينة. يرى عبدالسلام المسدي (2010، ص 92) في كتابه "الأسلوبية والأسلوب" أن "تكرار ضمير الجماعة في الأفعال ('آمنوا'، 'عملوا'، 'تواصوا') لا يعيد تأكيد الوحدة النحوية فحسب، بل يؤكد أيضًا الوحدة الدلالية والاجتماعية للفئة المستثناة، مشيرًا إلى أن النجاة لا تكون فردية بل جماعية قائمة على التضامن ('تواصوا')". هذا التسلسل يبني تصورًا تدريجيًا للصفات التي تنجي من الخسران.

• التوازي (Parallelism): وهو استخدام بنى نحوية أو دلالية متوازية لربط الأفكار ببعضها. ففي سورة الكافرون، يُستخدم التوازي في نفي عبادة الكفار: "وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ"، ثم يكرر هذا النفي مع اختلاف طفيف للتأكيد. هذا التوازي يُثبت الفكرة في ذهن المتلقي ويُعزز من الترابط اللفظي والمعنوي.

3.3 دور الاستعارات والرموز في تعزيز وحدة النص

لا تقتصر أدوات التماسك في القرآن على الجانب اللغوي الصرف، بل تتجاوزه إلى الجانب البلاغي العميق. تُستخدم الاستعارات والرموز في قصار السور كأدوات تُعزز من البنية الكبرى للنص وتُربط بين أجزائه بطريقة غير مباشرة.

• الرمزية الدلالية: ففي سورة الفيل، لا يُعد "الطير الأبابيل" أو "حجارة من سجيل" مجرد وصف للأحداث، بل هي رموز تُشير إلى قوة الله المطلقة أمام ضعف الكافرين. هذه الرموز تربط بين بداية السورة التي تتحدث عن حدث

عظيم ونهايتها التي تُظهر جزاء من يُحاول التعدي على بيت الله (فضل، 1999، ص. 145).

• الاستعارة الكلية: في سورة المسد، تُعد السورة بأكملها استعارة لحال أبي لهب وزوجته، حيث يُستخدم لفظ "تبت" للإشارة إلى الهلاك والخسران. هذه الاستعارة تُنظّم السورة وتُوحّد أجزاءها، إذ أن كل آية تأتي لتُفصّل جانبًا من جوانب هذا الهلاك، هنا تتحول فكرة العذاب الأخروي المجردة إلى صورة حية. فالنار موصوفة بصفة بشرية هي "ذات لهب". يعلق الدكتور فاضل السامرائي (2002، ص 98) في كتابه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" على هذه الآية قائلاً: "وصف النار بـ'ذات لهب' فيه استعارة مكنية، حيث شُبّهت بالنار الدنيوية ذات اللهب المتأجج، ثم حذف المشبه به (النار المعتادة) وكنى عنه بصفة من صفاته (اللهب) لتقريب الصورة وإشعارها بالحياة والحركة، وكأنها نار ترى بأعين الحاضرين" كما أن في تسمية الرجل "أبا لهب" ومن ثم مصيره إلى نار "ذات لهب" طباق لفظي ومعنوي يربط بين اسم الرجل ومصيره رباطاً استعارياً محكماً.

المطلب الرابع: التماسك الضمني والبنية الكبرى

4.1 التماسك الضمني وأبعاده المعنوية

يُعَدّ التماسك الضمني (Implicit Cohesion) أعمق مستويات التماسك النصي وأكثرها تعقيداً. فهو لا يعتمد على أدوات الربط الصريحة، بل على قدرة المتلقي على استنتاج العلاقات الخفية بين أجزاء النص، بناءً على المعرفة المشتركة والسياق العام. في النصوص القرآنية، يتجلى هذا التماسك بوضوح، مما يُبرز أن النص لا يُخاطب العقل بشكل مباشر فحسب، بل يُشجّع على التأمل واستخلاص المعاني.

في قصار السور، يظهر التماسك الضمني في المواضع التي تبدو فيها الآيات منفصلة، ولكن يربطها معنى واحد. ففي سورة الكوثر، يربط التماسك الضمني بين الآيات الثلاث: "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ".

إن الربط بين "إعطاء الكوثر" و"الصلاة والنحر" ليس رابطاً صريحاً، بل هو ضمني، يفيد أن النعم تستوجب الشكر بالعبادة. كما أن العلاقة بين الشكر و"الأبتر" (المنقطع) تُعدّ رابطاً ضمنياً، فمن يشكر الله على نعمه لا ينقطع ذكره، عكس عدوه. هذا التماسك يُشير إلى أن المعنى لا يقتصر على ظاهر اللفظ، بل هو كامن في السياق الإدراكي الكلي للسورة (فضل، 1999، ص. 176).

4.2 البنية الكبرى للنص القرآني

تُمثّل البنية الكبرى (structure-Macro) للقصة أو السورة الفكرة المحورية أو الموضوع العام الذي يُنظّم النص بأكمله. إنها ليست مجرد ملخص، بل هي المبدأ التنظيمي الذي يُوجّه المعاني ويُوحّد الأجزاء. وفقاً لنظرية لسانيات النص، فإن فهم البنية الكبرى هو جوهر فهم النص ككل (الخولي، 2000، ص. 102).

في قصار السور، تُعدّ البنية الكبرى هي المفتاح لفهم النص. ففي سورة العصر، على سبيل المثال، البنية الكبرى هي "الخسارة والنجاة". كل آية تخدم هذه الفكرة المحورية:

- "وَالْعَصْرِ": قسم على الزمن الذي هو وعاء الخسارة أو النجاة.
- "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ": تحديد الفكرة الرئيسية: الخسارة هي القاعدة.
- "إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ": استثناء الفئة الناجية الأولى.
- "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ": استثناء الفئة الناجية الثانية، وتوضيح صفاتها.

هذه الآيات، رغم قصرها، تُشكّل بناءً محكماً، حيث يربطها جميعاً خيط الخسارة والنجاة الذي يُمثّل بنيتها الكبرى.

4.3 تناسق الآيات والسور: البنية الكبرى بين النصوص

يأخذ مفهوم البنية الكبرى في القرآن بُعدًا استثنائيًا، يتجاوز حدود السورة الواحدة إلى الترابط بين السور نفسها. يُطلق على هذا المفهوم في التراث العربي

اسم "علم المناسبة" أو "التناسق"، وقد أفرد له الإمام جلال الدين السيوطي كتاباً كاملاً هو "نثر الدرر في تناسق الآيات والسور". يرى السيوطي أن كل سورة لا تُوضع في موضعها عشوائيًا، بل إن ترتيبها له حكمة بالغة وعلاقة وثيقة بما قبلها وما بعدها. هذه العلاقة تُشكل "بنية كبرى" على مستوى المصحف بأكمله (السيوطي، 1979، ص. 34).

تظهر هذه العلاقة في عدة صور:

• الربط بين خاتمة السورة وبداية التي تليها: ففي نهاية سورة المسد: "فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"، وهو حبل من ليف، بينما تبدأ سورة الإخلاص بالتوحيد: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ". يمكن فهم العلاقة هنا على أن القرآن ينتقل من الحديث عن الشرك وأصحابه إلى الحديث عن التوحيد وأصله (ابن عاشور، (1984)، ج30، ص523)

• الوحدة الموضوعية بين السور المتجاورة: تُلاحظ هذه العلاقة بوضوح في السور القصيرة، مثل سورتي الفيل وقريش. ففي سورة الفيل، يُذكر هلاك أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة، ثم تأتي سورة قريش لتُبيّن لماذا أهلكهم الله: "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ"، أي من أجل إيلاف قريش ورحلاتهم، وهو ما يُظهر أن هلاك الفيل كان تمهيدًا وتثبيتًا لقريش في مكانتها. هذا الترابط ليس صدفة، بل هو جزء من بنية كبرى تُؤكد على وحدة النص.

• العلاقة السببية: ففي سورة العصر، يُقدم القرآن العلاج لكل إنسان من الخسارة، ثم تأتي بعدها سورة الهمزة لتُبيّن مصير من لم يأخذ بهذا العلاج، وهو الهلاك. هذا التناسق يُعزّز من قوة الرسالة ويُثبتها في ذهن المتلقي.

4.4 العلاقة بين المستويات: من التماسك الضمني إلى البنية الكبرى

إن العلاقة بين التماسك الضمني والبنية الكبرى هي علاقة تكاملية. فكل كلمة وكل جملة وكل آية تساهم في بناء التماسك الضمني الذي يُتيح للمتلقي

استنتاج المعنى، وهذا المعنى بدوره يصب في خدمة البنية الكبرى للسورة. وهذه البنية الكبرى، كما بيّنا، لا تقف عند حدود السورة، بل تتصل بالسور التي تجاورها، لتُشكّل بناءً نصيًا متماسكًا على مستوى المصحف كله.

بهذا، نرى أن التماسك النصي في القرآن الكريم هو نظام متكامل، يبدأ من أدق التفاصيل اللغوية ليصل إلى أكبر البنية المعنوية، وهو ما يُثبت أن هذا النص ليس مجرد مجموعة من الآيات المتناثرة، بل هو كائن نصي حي ومتجانس.

المطلب الخامس: تحليل نصوص نموذجية من قصار السور

يُعَدُّ التحليل التطبيقي لقصار السور القرآنية أفضل وسيلة لإثبات وجود آليات التماسك النصي التي تناولناها نظريًا. في هذا الفصل، سنقوم بتحليل أربع سور نموذجية، هي: سورة الكوثر، سورة العصر، سورة الفيل، وسورة قريش، لنُظهر كيف تتضافر فيها مستويات التماسك المختلفة (اللفظي، والدلالي، والتركيبي) لتشكيل وحدة نصية متكاملة.

5.1 تحليل سورة الكوثر

تُعدُّ سورة الكوثر من أقصر سور القرآن، إلا أنها تُظهر درجة عالية من التماسك النصي. بنيتها الكبرى هي "النعمة والجزاء".

• التماسك اللفظي: يتجلى في استخدام الضمائر، حيث ينتقل النص من ضمير المتكلم العائد على الله تعالى (إنا)، إلى ضمير المخاطب العائد على النبي (أعطيناك)، ثم يعود ضمير المخاطب في الآية التي تليها (فصل لربك وانحر)، ثم يُشير الضمير في الآية الأخيرة إلى عدو النبي (إن شانئك هو الأبتر). هذا التناغم في استخدام الضمائر يُحقق ربطًا محكماً بين أطراف الحديث، يوضح وهبة الزحيلي (2009،جـ30، ص، 287). في "التفسير المنير" أن "إبراز الضمير في 'هُوَ الْأَبْتَرُ' يفيد الحصر والقصر والتأكيد، أي أن الشانئ وحده هو المنقطع الذكر، وليس النبي صلى الله عليه وسلم كما زعموا" هذه الآلية الإحالية تؤكد التقابل الدلالي بين "أَعْطَيْنَاكَ" (الكثرة والخير) و"هُوَ الْأَبْتَرُ" (القطعية والعدم).

• التماسك الدلالي: يتجلى في العلاقة السببية الضمنية بين الآيات. فإعطاء الله النبي (الكوثر) هو السبب الذي يستوجب منه الشكر (فصل لربك وانحر)، كما أن مصير عدوه (الأبتر) هو نتيجة طبيعية لحقده وانقطاعه عن الخير. هذا التسلسل الدلالي يُعطي السورة وحدتها المعنوية.

5.2 تحليل سورة العصر

تُعتبر سورة العصر نموذجاً للبناء النصي المتماسك دلالياً بشكل لافت. بنيتها الكبرى هي "الخسارة والنجاة".

• التماسك التركيبي: تبدأ السورة بقسم (والعصر)، ثم تأتي جملة الخبر (إن الإنسان لفي خسر)، ثم يأتي الاستثناء (إلا الذين آمنوا). هذا البناء التركيبي يُشير إلى أن القاعدة العامة هي الخسارة، وأن النجاة هي استثناء، وهذا يُعزّز من القيمة الدلالية للنص (فضل، 1999، ص. 145).

• التماسك الدلالي: يظهر في التسلسل المنطقي للأفكار. فالقسم على الزمن يُقدم سياق الحديث، ثم تُقدّم المشكلة (خسران الإنسان)، ثم يأتي الحل في أربع صفات مترابطة، هي: الإيمان (العقيدة)، والعمل الصالح (التطبيق)، والتواصي بالحق (الدعوة)، والتواصي بالصبر (الثبات). هذه الأركان الأربعة تُشكّل نسيجًا دلاليًا متكاملًا لا يمكن فصله، وهو ما يُعرف في الدراسات الحديثة بـ"البنية المنطقية للنص" (حمادي، عبدالعزيز، پورعابد، بلاوي(2021)، ص 47)

5.3 تحليل سورة الفيل وسورة قريش

تُعَدّ سورتي الفيل وقريش نموذجًا فريدًا للتماسك النصي الذي يتجاوز حدود السورة الواحدة، ليشمل الترابط بين سورتين متجاورتين، وهو ما يُعرف بالتناسق.

• التماسك الدلالي بين السورتين: تُظهر سورة الفيل عقوبة الله لأصحاب الفيل الذين حاولوا هدم الكعبة، ثم تأتي سورة قريش لتُبيّن لماذا فعل الله ذلك

(لإيلاف قريش)، أي من أجل حماية قريش وتسهيل رحلاتهم. هذا الربط الدلالي يُعطي السورتين معنىً عميقاً متصلاً. وقد أشار الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" إلى أن هذا الترابط بين السورتين ليس صدفة، بل هو جزء من إعجاز القرآن، حيث تُعدُّ السورة التالية كأنها متممة لمعنى السورة السابقة (الزركشي، 1957، ص. 102).

• التماسك اللفظي والتركيبي: تُلاحظ في سورة قريش أدوات ربط خفية، مثل استخدام كلمة "إيلافهم" كبدل من "إيلاف قريش"، وهذا يُعزّز من الترابط الداخلي للسورة. وفي السياق الأوسع، تُشكل السورتان معاً وحدة نصية كاملة، حيث تُعَدُّ سورة الفيل مقدمة منطقية لسورة قريش، مما يؤكد على أن النص القرآني ليس مجرد تجميع للآيات والسور، بل هو بناء متكامل.

يبلغ الربط بين السورتين ذروته في الآية الأخيرة من سورة قريش: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾. يشير الدكتور محمد عبد الله دراز (2005، ص 178) في "مدخل إلى القرآن الكريم" إلى أن "هذه الآية تقدم تلخيصاً بارعاً للرابط بين السورتين. فـ'آمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ' هو عين ما حدث في قصة الفيل، وهو الأساس الذي قام عليه 'إيلافهم' وأمن رحلاتهم" فالنعمة المذكورة في سورة قريش (الأمن من الخوف) هي بعينها الحادثة التاريخية التي فصلتها سورة الفيل.

الخاتمة

في الختام، يُمثّل هذا البحث خطوة متواضعة نحو تأصيل المنهج النصي في الدراسات القرآنية، ويُثبت أن قصار سور القرآن، رغم قصرها، تُعدُّ من أعمق النصوص وأكثرها تماسكًا. لقد أظهر التحليل أن هذه السور ليست مجرد مقاطع مُتفرقة، بل هي نصوص مُحكمة البناء، مترابطة الأجزاء، وأن كل كلمة فيها تخدم المعنى الكلي، مما يُؤكد أن إعجاز القرآن يكمن في بنيته النصية الكاملة.

تناول هذا البحث موضوع التماسك النصي في قصار سور القرآن الكريم من خلال مقاربة نصية لسانية، تهدف إلى الكشف عن الآليات والوسائل التي تُحقق

الترابط بين آيات هذه السور، وتُثبت أنها لا تُعدُّ مقاطع منفصلة، بل نصوصًا متكاملة. بدأ البحث بتأصيل نظري لمفاهيم التماسك (السبك والحبك) وأدواتهما، وتتبّع جذورهما في التراث النقدي والبلاغي العربي القديم. ثم انتقل إلى مستويات التماسك المختلفة (اللفظي، والدلالي، والتركيبي)، ليختتم بتحليل تطبيقي لنماذج من قصار السور (الكوثر، والعصر، والفيل، وقريش)، مع التركيز على البنية الكبرى والتناسق بين السور كدليل على وحدة النص القرآني

نتائج البحث

بناءً على التحليل النظري والتطبيقي الذي تم في الفصول السابقة، يُمكن استخلاص مجموعة من النتائج التي تُؤكد على قوة المنهج النصي في فهم النصوص القرآنية:

1. التماسك النصي في قصار السور ليس مجرد ظاهرة لغوية عارضة، بل هو مبدأ مُحكَم يخدم المعنى والرسالة.

2. لا يُمكن فصل مفهوم التماسك النصي عن إعجاز القرآن، إذ يُعَدُّ جزءًا لا يتجزأ من بيانه.

3. أدوات السبك اللفظي (الضمائر، الوصل، الحذف) تُستخدم بدقة متناهية لربط الآيات وإقامة علاقات نحوية ودلالية بينها.

4. يُعدُّ التماسك الدلالي هو الأكثر حضورًا في قصار السور، حيث يُركّز النص على الوحدة الموضوعية رغم اختلاف الألفاظ.

5. الترادف والمقابلة والتجانس الصوتي (الفاصلة القرآنية) تُعدُّ أدوات رئيسية لتعزيز التماسك اللفظي.

6. التماسك الضمني يُؤدي دورًا محوريًا في قصار السور، ويُبرز أن النص لا يُفهم من ظاهره فقط، بل من خلال استنتاج العلاقات الخفية.

7. البنية الكبرى هي المبدأ الذي يُنظّم كل سورة، وتعمل جميع الآيات في خدمته.

8. مفاهيم السبك والحبك ليست حديثة تمامًا على الدرس العربي، بل لها جذور عميقة في تراثنا النقدي والبلاغي تحت أسماء أخرى مثل "حسن التخلص" و"الفصل والوصل".

9. يُظهر القرآن الكريم تماسكًا نصيًا ليس فقط داخل السورة الواحدة، بل بين السور المتجاورة، وهو ما يُعرف بالتناسق.

10. العلاقة بين سورتي الفيل وقريش تُعدُّ خير دليل على التناسق، حيث تُشكلان معًا وحدة نصية متصلة دلاليًا.

11. القصص القرآنية في قصار السور تُستخدم لخدمة فكرة محورية، وليس مجرد سرد للأحداث.

12. المنهج النصي يُقدم رؤية جديدة في الدراسات القرآنية تتجاوز التحليل الأدبي التقليدي.

13. قصار السور تُشجع على التأمل والاستنتاج، وتُفعّل دور المتلقي في بناء المعنى.

14. التماسك النصي يُمكّن من فهم أعمق للرسالة القرآنية، وربط أجزائها ببعضها البعض بطريقة منطقية.

15. البحث يُوصي بالاستمرار في تطبيق المنهج النصي على نصوص قرآنية أطول، لاستكشاف أبعاد التماسك على مستويات أوسع.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد. (2002). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. دار الفكر العربي.

2. البطاينة، محمود محمد. (2011). التحليل النصي في اللغة العربية. دار المسيرة.

3. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (1982). دلائل الإعجاز. (تحقيق: محمود شاكر). مكتبة الخانجي.

4. أحمد فريد أبو هزيم. (2009). سورة العصر أسرار بيانية ودلالات تربوية. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 24(76).

5. حسان، تمام حسان. (1998). البيان في روائع القرآن. عالم الكتب.

6. الخولي، عبد الرحمن. (2000). التماسك النصي في القرآن الكريم. دار الأندلس.

7. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (1957). البرهان في علوم القرآن. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). دار إحياء الكتب العربية.

8. المسدي، عبدالسلام. (2010). الأسلوبية والأسلوب. تونس: دار محمد علي الحامي للنشر.

9. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (1979). نثر الدرر في تناسق الآيات والسور. (تحقيق: عبد القادر أحمد عطا). عالم الكتب.

10. ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.

11. السامرائي، فاضل صالح. (2002) *بلاغة الكلمة في التعبير القرآني*. عمان: دار عمار

12. فضل، صلاح فضل. (1999). النص القرآني: من التفكيك إلى التركيب. دار الفارابي.

13. القاضي، عبد الفتاح عبد الغني. (2015). نظرية النص والتحليل اللغوي. دار الفكر.

14. دراز، محمد عبد الله. (2005). مدخل إلى القرآن الكريم. الكويت: مكتبة دار العروبة.

15. البحيري، سعيد حسن. (2002) *علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات*. القاهرة، مصر: عالم الكتب.

16. Halliday, Michael Alexander Kirkwood, & Hasan, Ruqaiya. (1976). Cohesion in English. Longman .

17. van Dijk, Teun Adrianus, & Kintsch, Walter. (1983). Strategies of discourse comprehension. Academic Press.

18- ملا ابراهيمي، عزت؛ وتاند، بايزيد. (2022). آليات انسجام النص القرآني في آيات التعامل بين المؤمنين سور المؤمنون، ولقمان والحجرات أنموذجا. *بحوث في اللغة العربية*، *14*(26)، 105-120.

19- حوراء مجيد دهان، & ا. م. د علي عبد الوهاب عباس. (2023). آثر الاحالة الضميرية في شعر سلمان داود محمد. *Journal of the College of BasicEducation*، *29*(120)، 670-680.

20. الخطيب، عبد الكريم. (2003). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.

21. حمادي، عبدالعزيز، وپورعابد، بلاوي. (2021). بنية التعبير في رواية عازف الغيوم لعلي بدر في ضوء نظرية التواصل اللغوي لجاكبسون. بحوث في اللغة العربية، 13(25)، 43-58.